

## 108581 - هل يمكن أن يتوحد المسلمون مع اختلاف ما بينهم في العقيدة والمنهج؟

### السؤال

هل يمكن أن يتوحد المسلمون مع اختلاف ما بينهم في العقيدة والمنهج؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

إن اختلاف الناس فيما بينهم في العقيدة والمنهج سنّة كونية ، وقد أخبر الله تعالى عن وقوعها في خلقه ، وأخبر عن قدرته بتوحيدهم جميعاً على دين واحد ، لكنّ الله تعالى له حكمة بالغة في عدم فعل ذلك ؛ ليثيب الطائعين الموحدين ، ويعاقب العاصين والمشركين ، ولو جعل الله تعالى الناس أمة واحدة لم يظهر فضل التوحيد والموحدين ، ولم يظهر قبح المعصية والعاصين ، ولله تعالى أسماء وصفات اقتضت حكمته في الاختلاف أن تظهر في خلقه .  
قال الله تعالى : ( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) هود / 118 ، 119 .

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - :

يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربك ، يا محمد ، لجعل الناس كلها جماعة واحدة ، على ملة واحدة ، ودين واحد .  
" تفسير الطبري " ( 15 / 531 ) .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - :

يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة ، من إيمان أو كفران ، كما قال تعالى : ( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ) يونس / 99 ، وقوله : ( وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ) أي : ولا يزال الخُلفُ بين الناس في أديانهم ، واعتقادات مللهم ، ونحلهم ، ومذاهبهم ، وآرائهم .  
" تفسير ابن كثير " ( 4 / 361 ) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - :

يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي ، فإن مشيئته غير قاصرة ، ولا يمتنع عليه شيء ، ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالوا مختلفين ، مخالفين للصرط المستقيم ، متبعين للسبل الموصلة إلى النار ، كل يرى الحق فيما قاله ، والضلال في قول غيره .

( إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ) فهدهم إلى العلم بالحق والعمل به ، والاتفاق عليه ، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة ، وتداركتهم العناية

الربانية والتوفيق الإلهي .

وأما من عداهم : فهم مخذولون ، موكولون إلى أنفسهم .

وقوله : ( وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) أي : اقتضت حكمته أنه خلقهم ، ليكون منهم السعداء والأشقياء ، والمتفوقون والمختلفون ، والفريق الذين هدى الله ، والفريق الذين حقت عليهم الضلالة ، ليتبين للعباد عدله ، وحكمته ، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر ، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء .  
" تفسير السعدي " ( ص 392 ) .

ثانياً:

وكيف سيتوحد المسلمون على شيء يجمعهم جميعاً غير التوحيد والعقيدة؟! إن الناظر في أحوال المسلمين يجدهم مدارس وجماعات وأحزاباً وأفكاراً شتى ، رضي كل واحد لنفسه طريقاً في فهم نصوص الوحي ، والعمل للإسلام ، فحصل الاختلاف ، والتفرق ، والتشتت ، ولو أنهم رضوا لأنفسهم منهجاً واحداً ، واعتقاداً واحداً لاجتمعوا ، وصاروا أمة واحدة ، ولكنهم لم ينظر أكثرهم – وخاصة رؤوس الجماعات والأحزاب – للعقيدة الحقة أنها سبيل توحيد ، بل رأوا أنهم تفرقوا المسلمين ! كما زعم بعض أقطابهم ، وهذه كلمة منكورة ، ولا يمكن أن يكون توحيد للمسلمين وفيهم أمثال هذا القائل ! .  
جاء النبي صلى الله عليه وسلم على الناس وهم أحزاب وجماعات وأمم وأفكار وأديان مختلفة ، وفيهم الأبيض والأسود ، والرجل والمرأة ، والعامي والمتعلم ، والغني والفقير ، والسادة والضعفاء ، فلم يجمعهم على لغة ، ولا على أرض ، ولا على فكر بشر ، بل جمعهم على شيء معصوم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، جمعهم على القرآن ، والتوحيد ، وهذا هو السبيل الوحيد لأن يجتمع الناس كلهم على اختلاف مشاربهم وأهوائهم ولغاتهم وأماكنهم ، ولن يجدوا خيراً من هذا السبب في توحيدهم ، واجتماعهم وتآلفهم ، وأما عندما يراد تجميع الناس وتوحيدهم على فكر بشر قابل للنقض والرد والتعديل والحذف : فهذا ما لا يمكن أن يكون سبيلاً لتوحد المسلمين ، وعندما يراد تجميع الناس وتوحيدهم على قضية سياسية : فهذا لا يمكن أن يجتمع عليه الناس ؛ لاختلاف أفهامهم وآرائهم فيها ، كما لا يمكن لأرض أن تجمع المسلمين ؛ لتعلق كل نفس بوطنها وأرضها ، فلم يبق أمام المسلمين من سبيل لتوحيدهم وتجمعهم إلا العقيدة الصحيحة ، والتي منبعها نصوص الوحي المعصومة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ثالثاً:

بما أن أسباب تفرق المسلمين قائمة : فإن تفرقهم هو الثمرة ، وهو النتيجة ، وقد تنوع ذكر الأسباب في كلام أهل العلم ، وقد جمعها الإمام الشاطبي في ثلاثة أسباب : الجهل ، والهوى ، واتباع الآباء والأشياخ على عمى .

قال الشاطبي – رحمه الله – :

كل خلاف على الوصف المذكور وقع بعد ذلك : فله أسباب ثلاثة ، قد تجتمع ، وقد تفترق :

أحدها : أن يعتقد الإنسان في نفسه ، أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم ، والاجتهاد في الدين ، ولم يبلغ تلك الدرجة ، فيعمل على ذلك ، ويعد رأيه رأياً ، وخلافه خلافاً ، ولكن تارة يكون ذلك في جزئي ، وفرع من الفروع ، وتارة يكون في كلي وأصل من أصول الدين ، كان من الأصول الاعتقادية ، أو من الأصول العملية ، فتارة أخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها حتى

يصير منها ما ظهر له بادية رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ في فهم مقاصدها ، وهذا هو المبتدع ، وعليه نبه الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : ( لا يقبض الله العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ) .

والثاني من أسباب الخلاف : اتباع الهوى ، ولذلك سمِّي أهل البدع أهل الأهواء ؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم ، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها ، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها ، بل قدموا أهواءهم ، واعتمدوا على آرائهم ، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك ، وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح ، ومن مال إلى الفلاسفة ، وغيرهم ، ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم ، أو طلباً للرياسة ، فلا بد أن يميل مع الناس بهوهم ، ويتأول عليهم فيما أرادوا حسبما ذكره العلماء ونقله من مصاحبي السلاطين ، فالأولون ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بعقولهم ، وأسأوا الظن بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحسنوا ظنهم بآرائهم الفاسدة ، حتى ردوا كثيراً من أمور الآخرة وأحوالها ، من الصراط ، والميزان ، وحشر الأجساد ، والنعيم ، والعذاب الجسمي ، وأنكروا رؤية الباري ، وأشبهوا ذلك ، بل صيروا العقل شارعاً جاء الشرع أو لا ، بل إن جاء فهو كاشف لمقتضى ما حكم به العقل إلى غير ذلك من الشناعات .

والثالث من أسباب الخلاف : التصميم على اتباع العوائد وإن فسدت ، أو كانت مخالفة للحق ،

وهو اتباع ما كان عليه الآباء ، والأشياخ ، وأشبهوا ذلك ، وهو التقليد المذموم ؛ فإن الله ذم ذلك في كتابه بقوله : ( إنا وجدنا آباءنا على أمة ) الآية ، ثم قال : ( قال أو لو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ) ، وقوله : هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون ) فنبههم على وجه الدليل الواضح فاستمسكوا بمجرد تقليد الآباء ، فقالوا : ( بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ) وهو مقتضى الحديث المتقدم أيضا في قوله : ( اتخذ الناس رؤساء جهالاً ) إلى آخره ، فإنه يشير إلى الاستئناس بالرجال كيف كان .

" الاعتصام " ( 1 / 421 - 423 ) باختصار .

وعليه : فإنه من المستحيل اتفاق المسلمين واجتماعهم على غير التوحيد والعقيدة ، وفي الإسلام مظاهر اجتماع واتفاق لا توجد في غيره ، كالقبلة الواحدة ، والقرآن ، ومناسك الحج ، وغيرها ، فنرجو أن يتوحد المسلمون ويجتمعوا على اعتقاد واحد ، ومنهج واحد في فهم القرآن والسنة ، وما يحصل من خلافٍ محتمل بعد هذا فإن أمره يسير .  
سئل الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله -

ما هي المسائل التي يجوز الاختلاف فيها ؛ وتلك التي ينبغي التوقف عن الخلاف فيها ؛ وما واجب المسلمين تجاه دينهم ؟ .  
فأجاب :

الاختلاف على قسمين :

القسم الأول : الاختلاف في مسائل العقيدة ، وهذا لا يجوز ؛ لأن الواجب على المسلمين اعتقاد ما دلَّ عليه الكتاب والسنة ، وعدم التدخُّل في ذلك بعقولهم واجتهاداتهم ؛ لأن العقيدة توقيفية ، ولا مجال للاجتهاد والاختلاف فيها .

القسم الثاني : اختلاف في المسائل الفقهية المستنبطة من النصوص ، وهذا لا بد منه ؛ لأن مدارك الناس تختلف ، ولكن يجب الأخذ بما ترجح بالدليل من أقوالهم ، وهذا هو سبيل الخروج من هذا الخلاف .

ويجب على المسلم أن يهتمّ بأمور دينه ، ويحافظ على أداء ما أوجب الله عليه ، ويترك ما حرّم الله عليه ، وأن يتحلّى بالأخلاق الفاضلة مع إخوانه ، وأن يصدّق في معاملته ، ويحفظ أمانته ، ويكون قدوةً صالحةً لغيره .

ويجب أن يتربّوا على التمسّك بالدين والأخلاق الفاضلة ، وأن يبتعدوا عن الأخلاق الرذيلة وقرناء السوء ، وأن يهتمّوا بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وأن يكونوا قوّة للإسلام والمسلمين . " المنتقى من فتاوى الفوزان " ( 1 / 407 ، 408 ، السؤال رقم 241 ) .

والله أعلم